بقلم عبد الفتاح القلقيلي (ابو نائل)

كنا ضد اوسلو شكلا ومضمونا...كنا ضد الشكل الذي تمت به المفاوضات، وتسلل ابو علاء وفريقه اليها، وسميتها "عرس بغل"، وسماها صخر "طبخة بحص". وكنا ضد نتائجها سواء ما جرى توقيعه في حديقة البيت الابيض او ما لحقها من تواقيع في مواقع متعددة في القارات المختلفة. ولكن كلانا كان مع ثمرتها الوحيدة وهي عودة عدد من الكوادر والمواطنين الى ارض الوطن. وأنيط بأبي نزار (صخر حبش) إعداد قوائم العائدين، وكنت من المتسابقين الى العودة، وسجلني ضمن القوائم الاولى العائدة، وعدت قبله.

كانت عودتي شاقة ومهينة: سواء الرحلة التي كانت بطائرة شحن عسكرية من مطار تونس الى مطار العريش، او إجراءات نقلنا بسيارات شحن من العريش الى معبر رفح، او بقائنا خمسة ايام ننام في العراء او على بلاط المعبر دون فراش او غطاء. كنا كل يوم نخرج من الجانب المصري الى الجانب الاسرائيلي الذي يرفض إدخالنا بحجة انه لم تصله قوائم مستوفاة المعلومات، وكانت اجراءات إعاداتنا ودخولنا الجانب المصري مرة اخرى لا تخلو من التعقيدات والاهانات. وعندما دخلنا بعد مسلسل الاهانات ذي الخمس حلقات دخلنا غزة في الهزيع الاخير من الليل، ورغم كرم اهل غزة الا ان البعض تعرض لتنغيصات ما كان يستحملها لولا انها في طريق العودة للوطن. وفي الصباح تجمهرنا في ساحة السراي دون اي ارشاد او توجيه او تطمين لنسجل انفسنا في الدوائر الحديثة للسلطة الوطنية للحصول على الهوية الخضراء التي تتيح لنا الاقامة الدائمة في مناطق السلطة الفلسطينية.

وحينما تجوّلنا في "غزة اولا" صعقتنا كثرة الحواجز العسكرية الاسرائيلية على الطرقات بين مدن ومخيمات القطاع، وأخبرنا اهل غزة

ان الحواجز زادت بقدومكم، وقبل ان تأتوا كان التنقل في القطاع اسهل. حصلتُ على الهوية الخضراء، وعدت الى تونس لاحضر امتعتي. ومن المطار وقبل ان اعود الى بيتى، ذهبت الى صخر ورويت له تفاصيل ما اوجزته قبل قليل، وكان عنوان روايتي له "لقد تعزز الاحتلال في غزة اولا!!" يا ابو نزار. ورد علي "ولكنه وطني!!" يا ابو نائل.
ثم سألني: هل ستبقى في تونس ام تعود للوطن؟
قلت: سأعود سواء كان مصيري الحياة العادية داخل الوطن، او اسيرا لدى العدو (وقلت ضاحكا اي الطرف الآخر)، او سجينا لدى السلطة، فأنا عائد بلا شروط او اوهام
وفي اليوم التالي كانت قصيدته " ولكنه وطني"، وهذه بعض ابياته:

لكِنَهُ وَطَني
وَهلْ وَطَني يَبْقى بِدونِ كَرامَتي وَطَني
لكِنَّه زَمَني
وَهلْ زَمَني يَبْقى بِدونِ ارادَتي زَمَني
وَانا الذي يَبْقى وَمنْ جَسَدي الخَرائِطُ تَسْتَعيدُ
شَذا تَضاريسِ المَسيرَةِ تَسْتَفيدُ
مِن ارْتِفاعِ عَزيمَتي حَجَراً وَسارِيَةً
وَمنْ كَفَني
عَلَماً يُلَوِّنُ مِن شُموخِ كَرامَتي
وَطَناً يُعيدُ الرّوحَ في وَطَني
وَانا القَريبُ أَنا البَعيدُ وَلِلبَنَفْسَجِ في دَمي بَوّابَتانْ
بَوّابَةٌ تَرْنو الى وَطني المُلَبَّدِ بِالسَّجايا الشّامِخاتِ الى السَّماءْ